

تفسير السعدي

@ 443 @ وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله (الآية ، وقال : ^)
تأ لتسألن عما كنتم تفترون) ^ وقال : ^ (آذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب يوم القيامة) ^ فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة . ^ (ويجعلون
البنات سبحانه) ^ حيث قالوا عن الملائكة ، العباد المقربين : إنهم بنات الله ، ^ (ولهم
ما يشتهون) ^ أي : لأنفسهم الذكور ، حتى إنهم يكرهون البنات ، كراهة شديدة ، فكان
أحدهم ^ (إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً) ^ من الغم الذي أصابه ^ (هو كظيم) ^ أي :
كاظم على الحزن والأسف ، إذا بشر بأنثى ، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه ، ويتوارى منهم
من سوء ما بشر به . ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد ، فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها ^
(أيمسكه على هون) ^ أي : يتركها من غير قتل على إهانة وذل ؟ ^ (أم يدسه في التراب)
^ أي : يدفنها وهي حية ، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين ، ^ (ألا ساء ما يحكمون) ^
إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله ، من نسبة الولد إليه . ثم لم يكفهم هذا ، حتى نسبوا له
أردأ القسمين ، وهو : الإناث ، اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ، ويكرهونها ، فكيف ينسبونها
الله تعالى ؟ ! فبئس الحكم حكمهم . ولما كان هذا من أمثال السوء ، التي نسبها إليه أعداؤه
المشركون ، قال تعالى : ^ (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) ^ أي : المثل الناقص
والعيب التام ، ^ (والله المثل الأعلى) ^ وهو كل صفة كمال ، وكل كمال في الوجود ، فإله
أحق به ، من غير أن يستلزم ذلك نقصاً بوجه من الوجوه ، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه
، وهو : التعظيم والإجلال ، والمحبة والإنابة والمعرفة . ^ (وهو العزيز) ^ الذي قهر
جميع الأشياء ، وانقادت له المخلوقات بأسرها ، ^ (الحكيم) ^ الذي يضع الأشياء مواضعها
، فلا يأمر ، ولا يفعل ، إلا ما يحمد عليه ، ويثنى على كماله فيه . ^ (ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ^ لما ذكر تعالى ، ما افتراه الظالمون عليه ، ذكر كمال
حلمه وصبره فقال : ^ (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) ^ من غير زيادة ولا نقص ، ^ (ما
ترك عليها من دابة) ^ أي : لأهلك المباشرين للمعصية وغيرهم ، من أنواع الدواب
والحيوانات ، فإن شؤم المعاصي ، يهلك به الحرث والنسل . ^ (ولكن يؤخرهم) ^ عن تعجيل
العقوبة عليهم إلى أجل مسمى ، وهو يوم القيامة ^ (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون) ^ فليحذروا ، ما داموا في وقت الإمهال ، قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه
، ^ (ويجعلون) ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

مفراطون * تآ لقد أرسلنآ إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) ^ يخبر تعالى أن المشركين ^ (يجعلون ٓ ما يكرهون) ^ من البنات ، ومن الأوصاف القبيحة ، وهو : الشرك ، بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات ، التي هي عبيد ٓ ، فكما أنهم يكرهون ، ولا يرضون أن يكون عبيدهم وهم مخلوقون من جنسهم شركاء لهم فيما رزقهم آ ، فكيف يجعلون له شركاء من عبيده ؟ ! ! ^ (و) ^ هم مع هذه الإساءة العظيمة ^ (تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) ^ أي : أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة ، فرد عليهم بقوله : ^ (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفراطون) ^ مقدمون إليها ، ما كثون فيها ، غير خارجين منها أبداً . بين تعالى لرسوله صلى آ عليه وسلم ، أنه ليس هو أول رسول كذب فقال تعالى : ^ (تآ لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) ^ رسلا يدعونهم إلى التوحيد ، ^ (فزين لهم الشيطان أعمالهم) ^ فكذبوا الرسل ، وزعموا أن ما هم عليه ، هو الحق المنجي من كل مكروه ، وأن ما دعت إليه الرسل ، فهو بخلاف ذلك ، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم . صار ^ (وليهم اليوم) ^ في الدنيا ، فأطاعوه ، واتبعوه ، وتولوه . ^ (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) ^ . ^ (ولهم عذاب أليم) ^ في الآخرة ، حيث تولوا ، عن ولاية الرحمن ، ورضوا بولاية الشيطان ، فاستحقوا لذلك ، عذاب الهوان . ^ (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ^ يقول تعالى : وما أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن ، إلا لتبين للناس الحق ، فيما كان موضع اختلافهم ، من التوحيد ، والقدر ، وأحكام الأفعال وأحوال المعاد ، وليكون هداية تامة ، ورحمة عامة ، لقوم يؤمنون بآ ، وبالكتاب الذي أنزله . ^ (وآ أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتهآ إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) ^ يذكر آ تعالى في هذه الآية نعمة من أعظم النعم ليعقلوا عن آ مواعظه وتذكيره ، فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، لأنه المنعم بإنزال المطر ، وإنبات جميع أصناف النبات ، وعلى أنه على كل شيء قدير ، وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات ، وأن الذي نشر هذا الإحسان ، لذو رحمة واسعة ، وجود عظيم . ^ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون